حول مفهوم

الحيطــة والحـذر في الإسلام -2-

الأخ ح. زين العابدين

إنّ المفهوم الخاطئ لمعنى الحيطة والحذر في الإسلام ليعطل القدرات ويعرقل النمو الضروري للعناصر الإسلاميّة التي تعيش وتنمو في جوّ غير ذلك الجو الطبيعي الذي يفرضه عليها واقع التزامها بالإسلام فإذا اضطرت في يوم من الأيام وأُجبرت على مواجهة الواقع لم يكن لديها المناعة والحصانة الكافية لكي تقابل الضربات والهزات وتثبت أمامها ولا تهوي أو تتصدع من أول وهلة وأبسط اختبار كالطفل الذي تمنحه التغذية الكافية وتربيه في مناخ مريح ونظيف محاولاً الحفاظ عليه دون إعطائه جرعات الوقاية المؤلمة والتي قد تكون خطراً على حياته فإنه لا يستطيع مقاومة المتغيرات والأمراض والمخاطر التي قد تطرأ على حياته لسبب من الأسباب كذلك الطفل الذي شبّ ونما وقد منح المناعة الكافية لمواجهة كثير من الأخطار والصعاب وكذا الأشجار التي تترعرع في بيوت من الزجاج يصعب عليها أن تقابل الأجواء الطبيعية ما لم يسبق لها التمرس عليها .

لقد كان الفرد المسلم في عهد رسول الله ﷺ بمجرد انضمامه إلى الصف الإسلاميّ يبادر إلى اســتغلال قدراتــه وإمكانياته في إظهار الحق وإعلاء كلمة الله وفي حماية المسلمين فهذا حمزة وهذا عمر رضــي الله عنــهما كــان في دخولهما إلى الإسلام عزة ومنعة وقوة يقول ابن هشام في سيرته ص 371 : (فتفرق أصحاب رســول الله ﷺ مــن مكانهم -أي بعد إسلام عمر مباشرة- وقد عزوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة وعرفوا أنهما ســيمنعان رسول الله ﷺ وينتصفون بهما من عدوهم ، وقد بادر عمر رضي الله عنه في تلك الليلة يقول : أيُّ قريشٍ أنقل للحديث فقيل له : جميل بن معمر ، فغدا عليه فقال : أعلمت يا جميل أني أسلمت ودخلت في دين محمد ؟ قال عبد الله بن عمــر الذي تبع أباه فو الله ما راجعه حتى قام يجر رداءه حتى إذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته : ألا إنّ عمر قد صبأ ، وعمر يقول من خلفه : كذب ولكني قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورســوله ..) إلى آخر القصة التي تروي كيف تحمل عمر ما تحمل منذ يومه الأول في سبيل الله وفي سبيل الإسلام . هكذا كان العصر الأول وهذه أمثلته وهكذا كان صحابة رسول الله ﷺ يمارسون الإسلام لم يقولوا أن من الحيطة أن يهدأ عمر وأن لا يشهر إسلامه ومن الحذر ألا يعلن بهذه الطريقة عن إسلامه كما يفعل كثير من دعاة الإسلام اليــوم مــع الطلائــع الإسلاميّة الراغبة في أن تقف في وجه الباطل وتعريه من ردائه الكاذب وتعرف الناس به على الأقل وتظهر لهم الحــق وتنمي العزة والثقة بالإسلام وتغيظ الكفر والكافرين ، يقفون في وجه الشباب المسلم ويشيرون علــيهم بالهــدوء ،

بالركون ، بالكمون بحجة الخوف عليهم وبحجة مصلحة الدعوة ، وأعلام الكفر والإلحاد والنفــاق ترفــع أصــواتها وتبجحها وصلفها على الإسلام والمسلمين ولا يوجد في المسلمين من يرد عليها بعضاً من تصرفاتها من يغيظها .. من يوقفها عن حدها

لقد مات الإسلام في القلوب وماتت العاطفة التي كانت من قريب متأججة في الصدور وكانت لا تقبل بأي إهانة للإسلام والمسلمين أما اليوم فحدّث ولا حرج فماذا يريد أمثال هؤلاء الدعاة من هذه المسالمة والمداهنة باسم الحيطــة والحذر . هل يريدون أن يتنازل المسلم عن إسلامه ؟! يقول عمر بن الخطاب ﷺ : تذكرت ليلة أسلمتُ أيُّ أهــل مكة أشد لرسول الله ﷺ عداوة حتى آتيه فأخبره أني أسلمت . قال : قلت أبو جهل ، فأقبلت حين أصبحت حــتى ضربت عليه بابه . قال : فخرج أبو جهل ، فقال : مرحباً وأهلاً يا بن أختي ، ما جاء بك ؟! قال عمــر : جئــت لأخبرك أني قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به ، قال : فضرب الباب في وجهي وقال : قبحــك الله وقبح ما جئت به

لا نشك في أن كثيراً من الشباب المسلم له مقدرة وأن بعضاً من الشباب المسلم له وجاهة وربما كانت لبعــضهم سلطة ونعتقد بشكل جازم أن كثيراً من الشباب المسلم يستطيع أن يفعل شيئاً ما للإسلام والمسلمين ولكن قــدراتهم وإمكانياتهم مهدرة أو معطلة أو قاصرة أو مستغلة بسبب إشاعة المفهوم الخاطئ لمعنى الحيطة والحذر في الإســلام . لا بد أن نشجع الشباب المسلم على تنمية واستغلال وتطوير قواتهم المختلفة بطريقة إيجابية سليمة وبشكل لا يكون فيــه التهور متعمداً أو لقاء الأعداء غاية وإنما يكون الهدف الأساسي رضى الله وإظهار الحق ورفع راية الإسلام

كثيرون أولئك الذين يتذرعون بالفترة الأولى من السرية في الدعوة في عهد رسول الله ﷺ ولقد كانت هذه الفترة قبل أن يؤمر رسول الله ﷺ بالجهر بالدعوة وقبل أن يكون هناك مسلمون وقبل أن تكون هناك دول إسلامية ترفــع شعار الإسلام وعلى فرض التسليم بضرورة هذه المرحلة فبعد كم من السنين ننتظر أن تنتهي مثل هذه المرحلة التي لم تأخذ في عهد رسول الله ﷺ سوى ثلاث سنوات انطلق بعدها صادعاً بالحق فاضحاً لأحــوال الجاهليــة مــسفهاً لأحلامها لا يرده عن ذلك رادٌ ولا يوقفه عن تبليغ دعوة الله ما يلاقي في سبيلها من أذىً وتضحيات جسام يقــدمها هو وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم ، لقد بدأت الحركة الإسلاميّة الأخيرة منذ ما يقرب من نصف قرن وآن لهــا أن تنطلق في دعوتها إلى الله غير مبالية بما سوف يواجهها بشكل طبيعي وضروري في سبيل الــدعوة مــن نوائــب ومصائب ومصاعب

لقد ظن بعض القارئين للحلقة الأولى من هذا الموضوع أننا نلغي الحذر والحيطة تماماً وما كان لنا أن نفعل ذلــك والله ﷻ يقول : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا** ﴾ [النساء : 71] ، والله ﷻ يقول : ﴿ ... **وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً** ... ﴾ [النساء : 102] ، ويروي ابن هشام في سيرته بصدد غزوة بدر الكبرى (فركب رسول الله ﷺ هو

ورجل من أصحابه حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وما بلغه عنهم فقـــال الـــشيخ : لا أخبركما حتى تخبراني ممن أنتما ؟ فقال رسول الله ﷺ : إذا أخبرتنا أخبرناك . فقال : أذاك بـــذاك ؟ قـــال رســـول الله ﷺ : نعم . وبعد أن أخبرهما الشيخ بموقع كل من الفريقين ، قال : ممن أنتما ؟ فقال ﷺ : نحـــن مـــن مـــاء ثم انصرف عنه والشيخ يقول : ما من ماء ؟ أمن ماء العراق ؟!

إنها الكياسة والفطنة في مثل هذه الحالة -الحيطة والحذر يكونان في الحرب والكيد للأعداء- الحيطة والحذر مـــن إفشاء أسرار المسلمين والحيطة والحذر في مواجهة أعداء الدعوة أمام الدعوة الإسلاميّة في الـــبلاد الإســـلاميّة بـــين الشعوب المسلمة فقد حان الوقت لينضج المفهوم في ضرورة إعلان ممارستها رغم أنف الجميع وإن أدى ذلـــك إلى أن تتضرر بعض العناصر الإسلاميّة أو تقع في محن ومشكلات لأن هذا هو الطريق الطبيعي الذي يكسبها المناعة ويهيئها لتسلم زمام الأمور وقيادة البشرية جمعاء

ولقد أثبتت التجارب الأخيرة التي عاشتها الحركات الإسلاميّة أن الوقوف في وجه الباطل وإعلان الـــدعوة إن لم يعد على الإسلام والمسلمين بالنفع والخير الكثير فلن يكون ضررهما بأكبر وأفظع من ضرر السكوت علـــى الباطـــل وسرية الدعوة بل لقد أدت المغالاة في التحذير والتخويف إلى شعور بعض المسلمين وقناعتهم بأن الأخذ بمبدأ الحيطة والحذر سيجنبهم الوقوع في الامتحان أو يمنع عنهم قدر الله أو يمنعهم من كيد الأعداء . وأعداء الإسلام لا يفرقـــون بين مسلم وآخر وإن اختلفت وسائل كل منهما ، والمحنة غالباً ما تعم وربما كانت بالنسبة للخائف الحذر أكبر فجيعة وأشد إيلاماً ﴿ **وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [يونس : 107]